

أوزير جلاسيي.. ابنة المقاوم الريفى التي وصلت إلى الجامعات الكندية وعادت لتكتب التاريخ الذي سمعته من والدها

آخر تحديث 21/10/2026 3 دقائق قراءة



أريفيونت/هيئة التحرير

كان والدها يتحدث عن سنوات المقاومة في الريف، فتتغير نبرة صوته وتلمع عيناه. أما هي، فلم تكن تدرك آنذاك أن الحكايات التي تسمعها داخل البيت ستصبح، بعد سنوات طويلة، مادة لكتاب يعيد قراءة جانب من تاريخ المغرب.

تلك الطفلة هي نعيمة حادوش، التي ستعرف لاحقاً في الأوساط الأكاديمية باسم أوزير جلاسيي (Osire Glacier)، الباحثة المغربية الكندية وأستاذة التاريخ بجامعة أثاباسكا.

بين منزل نشأت فيه ذاكرة المقاومة، وقاعات الجامعات الكندية، قطعت جلاسيي مساراً غير مألوف. لكنها حين عادت

إلى تاريخ عائلتها، اكتشفت أن قصة والدها محمد حادوش لم تكن مجرد حكاية عائلية، بل نافذة على تاريخ الريف والمغرب من مقاومة الاستعمار إلى الصراعات السياسية التي أعقبت الاستقلال.

الأب الذي لم تعرف ابنته كل وجوهه

ولدت أوزير جلاسيي بمدينة أكادير، بعيداً عن المنطقة الريفية التي ارتبط بها جانب مهم من تاريخ والدها.

كان محمد حادوش قد شارك، وفق الرواية التي تستعيدنها ابنته، في النضال المناهض للاستعمار بمنطقة إفليحن في الريف، قبل أن يواصل انخراطه السياسي بعد الاستقلال بمدينة أكادير.

داخل المنزل، عرفت الابنة أباً يحمل ذاكرة مقاومة. لكنها اكتشفت، عندما بدأت جمع المادة التاريخية، صورة أخرى لرجل عام ارتبط اسمه بالصراع السياسي والمعارضة.

تروي في كتابها أن صحفياً تحدث إليها عن الهيبة التي كان والدها يفرضها داخل محيطه الحزبي. وهي صورة لم تكن تتطابق تماماً مع صورة الأب الذي عرفته في الحياة اليومية.

بل تستحضر أيضاً تعرضه للتفتيش، حتى في جيوبه وحقيبته الدبلوماسية، بحثاً عما يمكن استعماله ضده، وفق شهادتها.

هنا تبدأ المفارقة الإنسانية التي تقوم عليها الحكاية: الرجل الذي بدا في أعين آخرين شخصية سياسية صارمة كان بالنسبة إلى ابنته أباً عادياً، له حضوره داخل البيت، وذكرياته وأحاديثه.

ولم يكن الانتقال بين الصورتين أمراً بسيطاً. فقد وجدت نفسها أمام سؤال يتجاوز علاقتها الشخصية بوالدها: كيف

يمكن كتابة تاريخ رجل كان شاهداً ومشاركاً في أحداث سياسية، من دون الاكتفاء بما تقوله عنه الذاكرة العائلية؟

من أكادير إلى كندا

انتقلت جلاسيي في مسارها الدراسي بين المغرب وفرنسا وأمريكا الشمالية، حيث بنت حياتها الأكاديمية بعيداً عن بلد الميلاد.

حصلت على شهادتي الإجازة والماجستير من جامعة لافال الكندية، ثم الدكتوراه من جامعة ماكغيل، قبل أن تصبح أستاذة مشاركة في قسم التاريخ بجامعة أثاباسكا، وترتبط أيضاً بقسم التاريخ في جامعة كالغاري.

لم تتخصص في التاريخ العسكري للريف، بل اتجه اهتمامها أساساً إلى تاريخ النساء المغربيات، وقضايا النوع الاجتماعي، والحقوق والحريات في المغرب الحديث.

وفي سنة 2013 أصدرت كتاباً عن النساء السياسيات في المغرب، تناول مساهمتهن في الحياة العامة عبر مراحل تاريخية مختلفة.

ثم نشرت أعمالاً أخرى عن حقوق الإنسان، والجسد، والذكورة والأنوثة، والعلاقة بين المجتمع والسلطة.

لم تكن هذه الموضوعات بعيدة تماماً عن تاريخ عائلتها. ففي الحالتين كانت الباحثة تحاول النظر إلى زوايا لا تحظى دائماً بالمكان نفسه في الروايات الرسمية أو السرديات التاريخية المهيمنة.

غير أن انتقالها من دراسة القضايا العامة إلى كتابة تاريخ أسرتها سيضعها أمام تحدٍّ مختلف: هذه المرة، لم تكن الشخصيات التي تبحث فيها غريبة عنها.

حين أصبحت العائلة وثيقة تاريخية

في سنة 2022 صدر كتابها بالإنجليزية: *Freedom for Morocco: A Family Tale*, قبل أن يعرف مساراً جديداً في التداول بالفرنسية ثم بالعربية.

وحملت النسخة العربية عنوان «حكاية عائلة من الريف: المغرب من مقاومة الاستعمار إلى ممانعة السلطة»، بترجمة المؤرخ المعطي منجب، عن دار صفصافة.

اختارت الباحثة أن تبدأ من تجربة والدها، لكنها لم تتوقف عندها.

انتقلت إلى المقاومة المناهضة للاستعمار، ثم إلى مرحلة الاستقلال وما رافقها من خلافات سياسية، وصولاً إلى التحولات الاجتماعية والحقوقية التي عرفها المغرب.

ولأجل ذلك لم تعتمد على الذاكرة الشخصية وحدها.

فقد رجعت، بحسب ما أوضحت في تقديم تجربتها، إلى مقالات صحفية وكتابات تركها والدها، وأجرت مقابلات ولقاءات مع أشخاص عاصروا بعض الأحداث التي تتناولها.

هذا الاختيار مهم، لأن كتابة التاريخ العائلي تحمل خطراً واضحاً: أن تتحول رغبة الابن أو الابنة في إنصاف أحد الوالدين إلى رواية تتجاهل تناقضاته.

وجلاسيي لا تخفي موقعها من القصة. إنها ابنة أحد الفاعلين الذين تكتب عنهم، وباحثة تحاول في الوقت نفسه وضع تجربة الأسرة داخل سياق تاريخي أوسع.

أما الاستنتاجات السياسية التي يقدمها كتابها، فهي جزء من قراءتها النقدية للتاريخ المغربي، وليست كلها وقائع

محسومة خارج الاختلاف بين المؤرخين.

الريف الذي بقي حاضراً رغم المسافة

ليست أوزير جلاسيي شخصية وُلدت وعاشت حياتها بالريف، كما قد يوحي عنوان بورترية تقليدي عن أبناء المنطقة.

إنها ابنة عائلة ترتبط ذاكرتها بالمقاومة الريفية، وقد ولدت في أكادير وشيدت مسارها الأكاديمي في كندا.

وهذه التفاصيل لا تنتقص من صلتها بالريف، بل تمنح قصتها خصوصيتها.

فحضور الريف في تجربتها لم يكن حضور المكان الذي تسير في شوارعه كل صباح، بل المكان الذي انتقل إليها عبر حكايات الأب، ثم عبر البحث والوثائق والأسئلة.

ومن المفارقات أن المسافة الجغرافية التي فصلتها عن موطن أسلافها لم تقطع ذلك الخيط.

فبعد سنوات من الكتابة عن تاريخ النساء والحقوق والسياسة، وجدت الباحثة أن بعض الأسئلة التي تبحث لها عن إجابات كانت موجودة منذ البداية داخل منزل العائلة.

لقد كان والدها يتحدث، وكانت هي تستمع.

ثم مضت السنوات، ورحل جزء من الزمن الذي شهد تلك الوقائع، فأصبحت الكلمات القديمة بحاجة إلى وثائق وشهادات حتى لا تبقى مجرد ذكريات منزلية.

واليوم، حين يحمل كتابها اسم الريف على غلافه العربي، يبدو كأنه يعيد تلك الأحاديث إلى نقطة انطلاقها، ولكن بلغة مختلفة وبأسئلة لم تكن الطفلة الصغيرة تعرف كيف تطرحها.

#الريف

#أريفينو

#2013